إعادة صياغة قصص التراث للأطفال
دراسة مقارنة لقصص الأطفال في الأدبين العربي و الفارسي
(لينا كيلاني و نادر ابراهيمي أنموذجاً)

ميرفت فخر الدين سلمان*

تاريخ التسلُّم: ٢٠١٧/١٠/١٩
تاريخ القبول: ٢٠١٨/٠٤/٠٨

الملخص

قد استغرقت *القصص الواقعية منها و الخيالية، المكتوبة منها و المحكية، منذ قديم الزمان، مكانا كبيرا من ذاكرتنا بتفاصيلها وفتحت أمامنا آفاقا واسعة بعد تكوين شخصياتنا و تغيير نظرتنا للحياة والناس والأحداث. وحاول البحث هذا، لدراسة إعادة صياغة قصص التراث الوطني و العالمي تركيزا على قصص الأطفال في الأدبين العربي و الفارسي بمنهج تحليلي مقارن ومتمثلاً في اثنين من كتّاب أدب الأطفال الذين كتبوا هذا النوع من القصص و هما نادر ابراهيمي من إيران ولينا كيلاني من سورية. والنماذج المختارة من هذه القصص هي «پهلوان پهلوانان» (بطل الأبطال) و «حكايت كاسه‌ى آبِ خنك» (قصة كأس الماء البارد) لنادر ابراهيمي، و «غاق ينجو من حيلة الثعلب» و «صديقةٌ أم عدوّةٌ» للينا كيلاني ويهم بنا هذ البحث لتعريف الأطفال بتراثهم و تاريخهم وفتح أفقٍ جديدٍ لهم، ليتعرفوا من خلاله على التراث الأدبي و الشعبي العالمي.*

من أهم نتائج توصل إليها البحث هي أن استلهام المصادر التراثية التاريخية و الدينية يفرض على الكاتب قيوداً لا بد من الالتزام بها، فالكاتب هنا يتعامل مع حقائق تاريخية لا يحق له تغييرها أو التغيير في مقدماتها و أسبابها وكذلك نهلت

*دكتورة، مدرس متمرن، قسم اللغة العربي، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، (سوريا).

قصص الأطفال في سوريا و إيران من التراث، و تنوعت مصادر هذا التراث من مصادر تراثيةٍ أدبيةٍ، ومصادر تراثيةٍ تاريخيةٍ، ومصادر تراثيةٍ دينيةٍ، وأخرى من التراث العالمي.

مفاتيح‌البحث: دراسة مقارنة، قصص الأطفال، لينا كيلاني، نادر ابراهيمي.

شكلت القصص الواقعية منها و الخيالية، المكتوبة منها و المحكية، منذ أقدم العصور، جزءاً لايتجزأ من ذاكرتنا و أسهمت في تكوين شخصياتنا و نظرتنا للحياة و الناس و الأحداث.

و لطالما شكّل التراث القصصي رافداً متدفقاً للأدب عامةً و لأدب الأطفال خاصةً، فوجد فيه كتّاب أدب الأطفال حقلاً خصباً بمادته الفنية و قيمه التربوية و الأخلاقية، و تنبّهوا منذ القديم إلى أهمية تقديم هذا التراث للأطفال بمختلف فئاتهم العمرية لتعريفهم بتاريخهم و حضارتهم و موروثهم الثقافي و الشخصيات المؤثرة في تاريخ أممهم. و قد تنوّعت أشكال استلهامهم للتراث، فمنهم من أخذ تلك القصص كما هي، و منهم من أجرى عليها من التغييرات ما يتناسب مع ما يريد تقديمه للأطفال من خلالها. فكان منهم مَن أعاد صياغتها اللغوية و تحويلها إلى أشكالٍ مبسّطةٍ تتناسب مع الفئة العمرية للأطفال الذين يكتب لهم، و منهم مَن غيّر في شخصياتها أو أحداثها لإكسائها ثوباً يتلاءم مع روح العصر و قيمه التربوية و الأخلاقية. و قد تدرّج هذا الاستلهام في كيفيته، فمنهم مَن نجح في تقديم قصصٍ موائمةٍ لروح العصر و منهم مَن أخفق في بعض المواضع. و عندما نتحدث عن الإخفاق في إعادة صياغة هذه القصص فإنه لابد من الإشارة إلى نوعين:

أ- إخفاق الكاتب في تقديم القصة التراثية بثوبٍ مناسبٍ للطفولة يحقق الأهداف التربوية و الفنية المرجوة منها، و يتناسب مع قدرات الأطفال الفكرية و اللغوية.

ب- إخفاق الكاتب المتمثل في تغييره لما لا يجوز تغييره، كتحريفه لواقعةٍ تاريخيةٍ أو نسب أقوال و أفعال لشخصياتٍ تاريخيةٍ أو دينيةٍ لم تكن لهم حقيقةً.

للإضاءة أكثر على هذا الموضوع نتناول بالدراسة و التحليل إعادة صياغة قصص التراث الوطني و العالمي للأطفال في الأدبين العربي و الفارسي متمثلاً في اثنين

من كتّاب أدب الأطفال الذين كتبوا هذا النوع من القصص و هما نادر ابراهيمي من إيران و لينا كيلاني من سورية.

و سنتناول في بحثنا هذا القصص الآتية أنموذجاً:

«پهلوان پهلوانان» (بطل الأبطال) و «حكايت كاسه‌ى آبِ خنك» (قصة كأس الماء البارد) لنادر ابراهيمي، و «غاق ينجو من حيلة الثعلب» و «صديقةٌ أم عدوّةٌ» للينا كيلاني.

مفهوم التراث

نبدأ بحثنا هذا بالوقوف على معنى التراث، فقد جاءت هذه الكلمة في المعاجم العربية تحت مادة (ورث) فنجد في لسان العرب: « ... وَرِثَ فلانٌ أَباه يَرِثُهُ وِراثَةً و مِيراثاً و مَيراثاً. و أَوْرَثَ الرجلُ وَلَدَهُ مالاً إِيراثاً حَسَناً. و يقال: وَرِثْتُ فلاناً مالاً أَرِثُه وِرْثاً وَ وَرْثاً إذا ماتَ مُوَرِّثُكَ، فصار ميراثه لك ... و تقول: وَرِثْتُ أَبي وَ وَرِثْتُ الشيءَ من أَبي أَرِثُه، بالكسر فيهما، وِرْثاً وَ وِراثَةً و إِرْثاً، الأَلفُ منقلبةٌ من الواو، ورِثَةً، ابن الأَعرابي: الوِرْثُ و الوَرْثُ و الإِرْثُ و الوِرَاثُ و الإِرَاثُ و التُّراثُ واحد ... ابن سيده: و الوِرْثُ و الإِرْثُ و التُّرَاثُ و المِيراثُ: ما وُرِثَ؛ و قيل: الوِرْث و الميراثُ في المال، و الإِرْثُ في الحسَب ...» [١].

و جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب أن كلمة التراث تعني ما خلفه السلف من آثار علميةٍ و أدبيةٍ مما يعتبر نفيساً بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر و روحه. مثال ذلك الكتب المحققة و ما تحتويه المتاحف و المكتبات من آثار و كتبٍ تُعتبر جزءاً من حضارة الإنسان [٢].

التراث و أدب الأطفال

ارتبط أدب الأطفال – الذي هو موضوع بحثنا- منذ أقدم العصور و عند الشعوب كافةً ارتباطاً وثيقاً بالتراث، إذ شكّل التراث بأشكاله المكتوبة و المحكية مصدراً رئيساً في

[١] ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢، مادة ورث.

[٢] سليمان، حسين محمد، *التراث العربي الإسلامي*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦، ص ١١.

الكتابة للأطفال. فأول من كتب مجموعةً قصصيّةً خاصةً بالأطفال، و نقصد هنا (تشارلز بيرو) الشاعر الفرنسي الكبير الذي[١] كتب مجموعة «حكايات أمي الأوزة» ثم أخرج مجموعةً أخرى سماها «أقاصيص و حكايات الزمان الماضي» كان جامعاً للحكايات و النوادر الشّعبيّة، و استمد قصصه من الناس، و أضفى عليها طابعه الفنيّ الغنيّ بالرشاقة و رهافة الإحساس. كذلك نجد في إنجلترا أن حركة الكتابة للأطفال و التي بدأت مع (جون نيوبري) الذي استعان بفريقٍ كبيرٍ من[٢] كتّاب القصة لإنجاز مشروعٍ موجهٍ للأطفال نتج عنه نحو مائتي كتاب صغير، قد ضمت الأساطير و الخرافات و الحكايات الشعبية.

و في ألمانيا ظهر الأخوان (يعقوب و وليم جريم) اللذان قدّما عام (١٨١٢) مجموعةً قصصيةً للأطفال تحت عنوان «حكايات الأطفال و البيوت» و ظهر الجزء الثاني منها عام (١٨١٤). و قد نالت هذه المجموعة شهرةً واسعةً و تميزت بأنها «تدوّن الحكاية كما يحكيها الشعب دون إضافات تشوهها و دون تضمينها رمزاً مستتراً أو حكمةً خفيّةً، لأنّ الحكاية الشعبية في نظر الأخوين جريم تراثٌ خالدٌ ... »[٣]

و اتخذت الصورة الأولى للكتابة للأطفال – بمعناها الفني- في العالم العربي شكل الاستلهام من التراث العالمي، فقد كانت البدايات مع أحمد شوقي الذي تأثر بما كتبه (لافونتين) الشاعر الفرنسي و صاغ «شوقيات صغيرة». كما أن كامل كيلاني الذي يعدّ مؤسس أدب الأطفال في العالم العربي استلهم أغلب قصصه من التراثين العربي و العالمي .[٤]

و في إيران أيضاً اقترنت بداية تأليف القصص للأطفال بالتراث، فكان أول من كتب قصصاً للأطفال في التاريخ الحديث (طالبوف تبريزي) الذي ألّف مجموعةً قصصيةً تحت عنوان «كتاب احمد» يظهر فيها التشابه بين بطله و (ايميل) بطل جان جاك روسو. و بنيت الكثير من قصص الأطفال في إيران على استلهام المصادر التراثية

---

[١] Charles Perrault

[٢] John Newbery

[٣] انظر: حديد، د. علي، *في أدب الأطفال*، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط٤، ١٩٨٨، ص ٤٧- ٥٣.

[٤] انظر: قرانيا، محمد، *بدايات قصة الأطفال في سورية*، اتحاد الكتاب العرب، سورية، ٢٠٠٦، ص١.

الأدبية ككتاب «ألف ليلة و ليلة» و كتاب «كليلة و دمنه» و «شاهنامه» و «مثنوى معنوى» و غيرها، و المصادر التراثية الدينية و التاريخية، و الخرافات و الأساطير .

و قد اتخذ استلهام التراث في قصص الأطفال شكلين:

١- إعادة الخلق (بازآفرينى): و يعني استلهام الكاتب لقصةٍ من قصص التراث القديم ليخلق منها قصةً جديدةً تختلف قليلاً أو كثيراً عن الأصل. يتخذ الكاتب - في هذا النوع من القصص- من قصة التراث بناءً أصلياً لقصته، و يجري عليها من التغييرات ما يتناسب مع الفئة العمرية التي يكتب لها، و الرسالة التي يريد أن يوجهها للأطفال و هدفه من الكتابة لهم. و قد تمتد هذه التغييرات لتشمل القصة كلها فلا يبقى من قصة التراث إلا أثراً ضئيلاً، و قد تقتصر على تغييراتٍ في الشخصيات أو الأحداث أو النهاية.

- إعادة الصياغة (بازنويسى): و هنا يحافظ الكاتب على بناء القصة التراثية، و تقتصر التغييرات التي يجريها الكاتب على زيادة حدثٍ إلى القصة أو حذف حدثٍ منها، و إجراء بعض التغييرات اللغوية التي تشمل المفردات و التراكيب

ليقدم قصةً تتناسب مع العصر الحالي و لغته .[٢]

نماذج الدراسة

سنحاول هنا الإضاءة أكثر على مسائل العلاقة بين التراث و قصص الأطفال و الأشكال الناتجة عنها من خلال دراسة قصتين للكاتبة السورية لينا كيلاني (١٩٦٩ م) و أخريين للكاتب الإيراني نادر ابراهيمى (١٣١٥- ١٣٨٧ هـ.ش).

قصص نادر ابراهيمى

پهلوان پهلوانان

[١] انظر: حجازى بنفشه، ادبيات كودكان و نوجوانان، ويژگى‌ها و جنبه‌ها، *روشنگران و مطالعات زنان*، تهران، ١٣٨٣، ص ٣٧- ٣٨.

[٢] انظر: دريا كناري، رقيه وهابي و مريم حسيني، انواع بازنويسى و بازآفرينى‌هاى بهرام بيضايي از داستان‌هاى كهن، *فصلنامهٔ زبان و ادبيات فارسى*، سال ٢٥، شماره‌ى ٨٢، بهار و تابستان ١٣٩٦، ص ٣٠٥-٣٠٦.

ملخص القصة

كان يعيش في بلاد خوارزم بطلٌ مشهورٌ عُرف بين الناس باسم (پوریای ولي) و قد كان أشجع الشجعان في زمانه. أحبه أهل خوارزم كثيراً، و لم تكن شجاعته وحدها السبب في حب الناس له، فقد كان (پوریای ولي) حكيماً و عطوفاً و محباً للناس. سافر (پوریای ولي) كثيراً في شبابه، و عندما تقدم به العمر لازم خوارزم. و قد كان الشبان يأتون من مختلف أرجاء البلاد طلباً لمبارزته و لكنه كان يرفض باستمرارٍ، و لم يكن رفضه لمبارزتهم إلا إشفاقاً عليهم، فلم يكن يريد أن تضعف عزيمتهم و هم في أوج شبابهم و قوتهم. ذات يومٍ، قدم شابٌ شجاعٌ من (سيستان) ترافقه أمه العجوز و طلب مبارزة (پوریای ولي) و لكن الأخير رفض. ألحّ الشاب في طلبه و كان (پوریای ولي) يرفض باستمرارٍ. ذات ليلةٍ قصد (پوریای ولي) المسجد مساءً فوجد أم الشاب العجوز هناك تدعو الله و تتضرّع إليه راجيةً أن ينصر ابنها الشاب. تأثّر (پوریای ولي) بما رآه كثيراً و غلبته الحيرة بين أن يسمح للشاب بهزيمته فيدخل السرور إلى قلب أمه و يساعد الشاب على تحقيق أمنيته، و أن يبارزه بكامل قوته فيهزمه و يُفرح قلوب أهل خوارزم. و قرر بعد تفكيرٍ طويلٍ مبارزة الشاب بكامل قوته. احتشد الناس يوم المبارزة و ما إن بدأت المبارزة حتى أدرك (پوریای ولي) في قرارة نفسه أن هذا الشاب يمتلك الكثير من القوة البدنية و الإرادة الصلبة، كما شعر الناس كلهم أن هذه المبارزة تختلف عن سابقاتها. استمرت المبارزة حيناً من الزمن إلى أن شعر (پوریای ولي) بالتعب الشديد و أدرك أنه لن يستطيع الصمود حتى نهاية المبارزة فاستسلم للشاب الذي طرحه أرضاً. دهش أهل خوارزم جميعاً، و لعجزهم عن تصديق ما حدث توجهوا بأصابع الاتهام إلى والدة الشاب العجوز و قالوا إنها ساحرةٌ أنزلت لعنتها على (پوریای ولي) فتسببت في هزيمته. عندها شعر الشاب السيستاني بالكثير من الحزن و اليأس فقد بذل الكثير من الجهد في هذه المبارزة و ها هم الناس ينسبون انتصاره إلى السحر.

شعر (پوریای ولي) بحاله فخاطب الناس بصوتٍ مرتفعٍ يصل إلى الجميع مؤكداً أن الشاب جديرٌ بلقب (پهلوان پهلوانان). حينها حمل الناس البطلين على أكتافهم و

احتفلوا بهما. بعد تلك المبارزة غادر (پوریای ولي) خوارزم و لم يعلم أحدٌ وجهته .

الرواية التاريخية لقصة (پوریای ولي)

(پوریای ولي) لقب البطل محمود الخوارزمي، و هو بطلٌ قوميٌّ و عارفٌ و شاعرٌ عاش في أواخر القرن السابع و أوائل القرن الثامن. ليست هناك معلوماتٌ دقيقةٌ عن تاريخ ولادته و حياته، فقد عدّه البعض من أهل اوركنج من مدن خوارزم بينما عدّه البعض الآخر من مدينة كنجه في أذربايجان اليوم. و جاء في إحدى الوثائق القديمة من العصر الصفوي أنه من أهل سلماس و خوي. و ذُكر أنه كان كثير السفر في شبابه، و قد جاب بلاد آسيا الوسطى و إيران و الهند.

وردت قصة المبارزة بين (پوریای ولي) و الشاب في الرواية التاريخية على النحو الآتي: في أحد الأيام جاء بطلٌ من الهند إلى خوارزم و طلب مبارزة (پوریای ولی). رفض (پوریای ولی) مبارزته و لكن الشاب ألحّ كثيراً. و ذات ليلةٍ شاهد (پوریای ولی) أم الشاب في المسجد تبكي و تتضرع إلى الله تعالى أن ينصر ابنها الشاب لينال ما يصبو إليه. فقرر (پوریای ولی) أن يسمح للشاب بهزيمته ليدخل السرور إلى قلب أمه العجوز. و في اللحظات الأخيرة من المبارزة شهد (پوریای ولی) حالةً من الكشف العرفاني .[٢]

بمقارنة النصين نصل إلى النتائج الآتية:

١- الشخصية المحورية في القصة (شخصية البطل):

تمتلك شخصية البطل (پوریای ولی) في الرواية التاريخية و في قصة (پهلوان پهلوانان) السمات الشكلية و الباطنية ذاتها، ف (پوریای ولی) بطلٌ قوميٌّ نال لقب (پهلوان پهلوانان) لسنواتٍ عديدةٍ، و هو محبٌّ للناس جميعاً و عطوفٌ و متسامحٌ.

اقتصر الاختلاف بين الروايتين على نقطتين:

أ) لم يذكر ابراهيمي أن (پوریای ولی) كان عارفاً و شاعراً أيضاً.

[١] ابراهيمى، نادر، *پهلوان پهلوانان*، همگام با كودكان و نوجوانان، تهران، ١٣٧١.
[٢] نفيسى، *فهرست نسخه‌هاى خطى فارسى*، ج٢، تهران، ١٣٤٨.

ب) جاء في الرواية التاريخية أن (پوریای ولی) كان يعمل في حياكة القبعات، بينما ذكر ابراهيمي أنه كان يعمل في تدريب الشبان على المبارزة.

الاختلافان المذكوران آنفاً سطحيان لا يمسان بنية القصة و لايلعبان دوراً جوهرياً في سير الأحداث و تطورها أو تقديم الشخصية البطل للقارئ.

٢- المكان في القصة:

ورد في قصة ابراهيمي أن (پوریای ولی) كان يعيش في خوارزم، و هذا ما ذكرته الرواية التاريخية. لكن الاختلاف وقع في تحديد بلد الشاب الذي جاء لمبارزة (پوریای ولی)، فقد ذكرت الرواية التاريخية أنه كان من الهند، بينما جاء في قصة ابراهيمي أنه من سيستان.

لا نريد هنا أن نذهب بعيداً في التأويل و لكن ربما يعود السبب في اختيار ابراهيمي لسيستان لتكون مسقط رأس الشاب الشجاع هو الخلفية التاريخية لسيستان في الفكر الإيراني فهي موطن البطل الإيراني الشهير رستم.

و نؤكد هنا أيضاً أن هذا التغيير أيضاً لا يؤثر في سير الأحداث و تطورها و رسم الشخصيات.

٣- الاختلاف العميق بين الرواية التاريخية و قصة (پهلوان پهلوانان) يكمن في الحدث الرئيس. فقد جاء في الرواية التاريخية أن (پوریای ولی) قرر يوم المبارزة السماح للشاب بالانتصار عليه إشفاقاً منه على أمه العجوز. بينما جاء في قصة ابراهيمي أن (پوریای ولی) عاش حالةً من الصراع الداخلي بين المبارزة بكامل قوته و السماح للشاب بهزيمته، و أدرك خلال المبارزة أن الشاب يمتلك من القوة و الإرادة ما لم يكن ينتظره، و خارت قواه فما كان منه إلا أن استسلم للشاب.

هذا التغيير الذي أحدثه ابراهيمي في الحدث الرئيس كان سبباً في انتقاد البعض له (انظر: رضا رهگذر، *چهره‌های ادبیات کودکان و نوجوانان*، ص ٧٢).

[١] يوسفي، محمدرضا، *چهره‌های ادبیات کودکان و نوجوانان*، نشر روزگار، تهران، ١٣٨٠، ص ٧٢.

و سنحاول هنا تسليط الضوء على هذا التغيير للوقوف على أسبابه و نتائجه.

الأمر الذي لا شك فيه أن ابراهيمي غيّر الحدث الرئيس في القصة عامداً، فالكاتب – لا محالة- مطلعٌ على الرواية التاريخية، فما الذي دفعه إلى تغيير سبب هزيمة (پورياى ولى)؟

نلحظ من خلال التتبع الدقيق للقصة أن ابراهيمي قد أشار في غير موضعٍ إلى ضرورة منح الشباب الفرصة لإثبات ذواتهم، و ممارسة دورٍ فاعلٍ في بناء المجتمع و تطويره. و نستطيع تتبع هذه الإشارات في خطاب الشاب الذي جاء لمبارزة (پورياى ولى)[1].

نقول هنا إن الكاتب لم يخطئ في الرسالة التي قدمها و الهدف الذي ابتغاه و لكننا نواجه مسألةً غايةً في الأهمية و هي أن ابراهيمي اختار قصةً تمتلك مرجعيةً تاريخيةً و تروي إحدى اللحظات الهامة في حياة شخصيةٍ كان لها حضورها الثقيل في الحياة الأدبية و الدينية و الاجتماعية الإيرانية في أواخر القرن السابع و أوائل القرن الثامن. و عندما يغير الكاتب في أحداث القصة فهو يغيّر حقائق تاريخيةً. كما أن الكاتب توجه بقصته للأطفال و هم عندما يقرؤون القصة سيستقبلون ما جاء فيها دون التفكير بالعودة إلى كتب التاريخ للتأكد من صحة الحادثة. و نتيجةً لذلك ستتكون لدى الأطفال الذين يقرؤون هذه القصة معلوماتٍ تاريخيةً خاطئةً عن شخصيةٍ تاريخيةٍ هامةٍ من بلادهم.

صحيحٌ أن الكاتب قد ضمّن قصته – من خلال هذا التغيير- رسالةً ساميةً تسلط الضوء على قدرات الشباب الكامنة و ضرورة منحهم الفرصة للمساهمة في بناء المجتمعات، و لكن الكاتب أغفل أنه يعيد خلق قصةٍ تاريخيةٍ و لا بد له من الحفاظ على ما يمس روح القصة أو حقيقة الشخصيات المذكورة فيها.

حكايت كاسهٔ آب خنك

نذكر أولاً القصة كما وردت في «الرسالة القشيرية»:

[1] ابراهيمى، نادر، *پهلوان پهلوانان*، ص ۸- ۱- ۱۴.

«سمعت جنيداً يقول: دخلت يوماً على السريّ السقطي و هو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: جاءتني البارحة الصبيّة، فقالت: يا أبتي، هذه ليلةٌ حارةٌ، و هذا الكوز أعلّقه ها هنا. ثم إني حملتني عيناي فنمتُ، فرأيت جاريةً من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرَّج في الكيزان. فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته. قال جنيد: فرأيت الخزف لم يرفعه و لم يمسه، حتى عفا عليه التراب [١].

نعرض هنا ملخصاً لقصة ابراهيمي و التي عنونها ب "حكايت كاسه‌ی آب خنك»:

تبدأ قصة ابراهيمي كما جاء في الرسالة القشيرية، فقد جاءت حفيدة سريّ السقطي إليه في ليلة حارة، و طلبت منه أن يعلق الكوز لها لعلها تشرب بعض الماء البارد. و لكن سريّ نسي أمر الطفلة و نام، فجاءه في الحلم طفلاً جميلاً يملك جناحين كبيرين زرقاوين، هبط إليه من السماء و حدثه عن الخطأ الذي ارتكبه في حق الطفلة، و عندها وجد سريّ نفسه عطشاً يجول في بستانٍ كبيرٍ مليءٍ بأواني الماء، و كان كلما اقترب من أحدها وجده فارغاً. فاعتذر من الطفل – الملاك الذي قبل اعتذاره شرط أن يقدم الماء البارد كل يومٍ لأطفال الحي، و منذ تلك الليلة يجول سريّ بالماء البارد على أطفال الحيّ [٢].

بعد المقارنة بين القصتين نشير إلى النقاط الآتية:

١- الشخصيات:

أجرى الكاتب بعض التغييرات على شخصيات القصة، و جاءت هذه التغييرات على الشكل الآتي:

- شخصية سريّ: رسم الكاتب لهذه الشخصية السمات الظاهرية نفسها التي وردت في «الرسالة القشيرية». و الكاتب لم يذكر أن سري أحد أهم أعلام التصوف، بل

[١] عثماني، أبوعلي حسن بن أحمد، *ترجمهٔ رسالهٔ قشيريه*، تصحيح و استدراكات بديع الزمان فروزانفر، انتشارات علمی و فرهنگی، تهران، چ٢، ١٣٦١، ص ٣١-٣١.

[٢] ابراهيمی، نادر، *حكايت كاسهٔ آب خنك*، همگام با كودكان و نوجوانان، تهران، ١٣٧٠.

اكتفى بذكر أنه عالمٌ يعلم الناس. و هذا الأمر مبررٌ للكاتب فهو يخاطب الأطفال في قصته، و هم يمتلكون مقداراً ضئيلاً من المعارف و المعلومات، و ما يمتلكونه منها يقتصر على ما يتعلمونه في البيت و المحيط و المدرسة، و في مثل هذا السن لا يمكن شرح مفاهيم التصوف و العرفان لهم.

و من جهةٍ ثانية، فالغاية من القصة هي بالدرجة الأولى تحقيق المتعة و الترفيه عن الأطفال، و تقديم الفائدة لهم بطرقٍ بسيطةٍ غير مباشرةٍ. و كذلك فإن عدم ذكر هذه المعلومة لا يؤثر على سير الأحداث أو تفاعل الأطفال معها.

- شخصية الطفلة: لم يجرِ ابراهيمي تغييراً على شخصية الطفلة في القصة، و التغيير الوحيد الذي نستطيع ذكره هو أن ابراهيمي ذكر أن الطفلة حفيدة الشيخ العالم، و هذا لا يؤثر في سير الأحداث بل يقوي عنصر التأثير في القصة. كذلك فقد منح ابراهيمي شخصية الطفلة حيزاً أكبر و جعلها أكثر حضوراً و تأثيراً.

- الشخصية التي رآها سري في الحلم:

جاء في كتاب «الرسالة القشيرية» أن سريّ السقطيّ رأى في الحلم فتاةً لا مثيل لجمالها هبطت إليه من السماء و شرعت بمخاطبته، و خطابها له يحمل أبعاداً عرفانيةً بحتة. بينما جاء في قصة ابراهيمي أن سري شاهد في حلمه طفلاً صغيراً يملك جناحين كبيرين و جميلين، و هذا التغيير يتناسب أكثر مع تقديم القصة للأطفال فهو يلبس القصة ثوباً يلائمهم و يجعل الشخصيات أكثر قدرةً على خلق جسور التواصل و التفاعل معهم.

٢- الأحداث:

برز التغيير الأكثر أهميةً في الحدث الرئيس، فقد جاء في رواية «الرسالة القشيرية» أن سريّ رأى في حلمه فتاةً و قد أنبته الفتاة على إغفاله حاجة الطفلة للماء البارد في كلامٍ ذي مفاهيم عرفانية كما ذكرنا آنفاً. بينما جاء في قصة ابراهيمي أن سريّ رأى طفلاً ذا أجنحةٍ جميلةٍ و قد خاطب سريّ و دعاه إلى الاهتمام بحاجات الأطفال و السعي إلى تحقيقها.

كما برع ابراهيمي في توصيف الحدث و أعمل فيه عنصر الخيال الذي يجذب الأطفال كثيراً و يشدهم إلى القصة. فقد جعل ابراهيمي سريّ يرى في حلمه أنه عطشانٌ جداً و كان يتجول في بستانٍ كبيرٍ تملؤه أواني الماء، و لكنه كان كلما اقترب من إناءٍ يجده خالياً.

نقول هنا إن ابراهيمي حافظ على هيكل القصة و الرسالة التي تحملها و لكنها أجرى عليها من التغييرات ما يتناسب مع الفئة العمرية التي يكتب لها. مما جعل القصة أقرب إلى ذهن الطفل و اهتماماته. كما أنه جرد القصة من بعدها العرفاني الذي يصعب على الأطفال إدراكه و الوقوف على معانيه. و أشبع تعطش الأطفال إلى الخيال من خلال التغييرات التي أجراها على الحدث الرئيس، فأكسب بذلك القصة قيماً أخلاقيةً تربويةً لا تخلو من المتعة.

قصص لينا كيلاني

غاق ينجو من حيلة الثعلب

استلهمت لينا كيلاني إحدى قصص التراث العالمي الشهيرة و ألبستها ثوباً جديداً يضفي عليها المزيد من المتعة و القيم التربوية الهادفة.

في قصة لينا كيلاني يسمع غرابٌ طفلين يقصان من كتابٍ قديمٍ حكاية غرابٍ يخدعه ثعلبٌ محتالٌ و يحصل على قطعة الجبن التي كانت معه. فانزعج الغراب من غباء الغراب المذكور في القصة و من مكر الثعلب. و شق طريقه في الغابة و بينما هو في طريقه إلى عشه وجد قطعة جبنٍ فالتقطها و تابع التحليق. لم يكن الغراب جائعاً فقرر الاحتفاظ بقطعة الجبن لليوم التالي. تعب الغراب من الطيران فحط على غصنِ شجرةٍ طلباً للراحة و بينما هو كذلك رأى حيواناً يمشي في الغابة باحثاً عن شيءٍ يأكله و عندما اقترب الحيوان أدرك غاق أنه ثعلبٌ فقرر غاق حينها أن يختبر ما إن كان الثعلب سيحاول خداعه كما جاء في القصة التي سمعها من الطفلين. فأثار بعض الضجة إلى أن التفت الثعلب نحوه و رأى قطعة الجبن التي يحملها فقرر الحصول عليها بمكره. و لكن الثعلب لم يطلب من الغراب الغناء كما جاء في القصة القديمة بل أخبره أن صوته جميلٌ و أنه يريد منه النزول عن أعلى الشجرة ليتعارفا. فكر الغراب

فيما يجب فعله فالثعلب ماكرٌ و إذا نزل إليه فسوف يسرق منه قطعة الجبن، و إذا ترك الجبن على الغصن فقد يسقط و يلتقطه الثعلب. حينها قرر غاق التهام قطعة الجبن رغم أنه لم يكن جائعاً و بقيت منها قطعةٌ صغيرةٌ رماها للثعلب و أخبره أنه ليس أحمقاً كالغراب الذي جاء في القصة .[١]

استلهمت الكاتبة إحدى قصص التراث العالمي الشهيرة، و هي قصةٌ كتبها لافونتين الفرنسي، و نالت الكثير من الشهرة و ترجمت إلى لغاتٍ عدة. و أجرت الكاتبة التغييرات الآتية:

١- ذكرت الكاتبة القصة القديمة (قصة لافونتين) كاملةً في بداية قصتها على لسان الطفلين، و هي بذلك قد عرّفت الأطفال بإحدى قصص التراث العالمي الشهيرة و الممتعة و أحيتها في ذاكرتهم و مهدت ببراعةٍ لقصتها. إضافةً إلى القيمة الجمالية لأسلوب القص هذا، فهو يمنح الطفل – القارئ مجالاً للمقايسة بين القصتين و الوقوف على أوجه الاختلاف بينهما مما يسهم في عملية التواصل مع الطفل و ترسيخ العبرة في ذهنه مع تحقق عنصر المتعة.

٢- نجحت الكاتبة من خلال هذا الأسلوب في إضفاء جوٍّ من الفكاهة على القصة، و الفكاهة عنصرٌ يجذب الأطفال و يشدهم إلى قراءة القصة و الأخذ بالعبرة التي تقدمها. تجلى عنصر الفكاهة في الحل الذي اعتمده الغراب غاق عندما قام بأكل قطعة الجبن رغم أنه لم يكن جائعاً حتى لا يروي الأطفال فيما بعد أن الغراب أحمق يقع دائماً ضحية مكر الثعلب.

٣- نجحت الكاتبة في الحفاظ على الهدف التعليمي للقصة و الذي تمثل بالتأكيد على أهمية الحيطة و الحذر و عدم الانخداع بالمديح الكاذب. كما أن الكاتبة حمّلت القصة قيماً جديدةً تمثلت في تقديمها صورةً حيةً عن فائدة الأخذ بالعبرة من تجارب الآخرين. فقد اعتاد الأطفال في القصص التي يقرؤونها أو يسمعونها عن أمهاتهم و جداتهم على انتصار الثعلب الماكر و انهزام المخلوقات الضعيفة أمامه، و لكنهم هنا يجدون الغراب ينتصر على الثعلب بعد أخذه بالعبرة.

[١] كيلاني، لينا، غاق ينجو من حيلة الثعلب، مجموعة (الغراب غاق)، وزارة الثقافة، سورية، ١٩٩٦.

صديقةٌ أم عدوةٌ

ملخص القصة

كانت مجموعةٌ من الأفاعي تعيش في صحراء قاسيةٍ و كانوا يعانون قلة الماء و الطعام فيها، فقرروا الهجرة إلى واحةٍ خضراء فيها الكثير من الماء و الطعام. عاشوا في تلك الواحة بهناءٍ و سعادةٍ. و في أحد الأيام جاءت مجموعةٌ من الفتيان مع مرشدهم في رحلةٍ علميةٍ إلى الواحة نفسها، و قرروا نصب خيامهم فيها. و بينما كان أحد الأطفال يتجول في الواحة شاهد أفعى جميلةً فضية اللون، فأخذ يراقبها و يحدثها عن جمال لونها. فرحت الأفعى بمديح الطفل لجمالها و محبته لها و وعدته أن تبقى صديقةً له و لا تسبب له الأذى. و بينما هي عائدةٌ إلى وكرها رأت الطفل يمد يده ليقطف فطراً أبيضاً. عادت مسرعةً و لكن الطفل كان قد أكل قطعةً من الفطر السام فلم تجد بداً من لدغه ليدخل جزءٌ من سمها إلى جسمه و يبطل مفعول الفطر السامّ. انتبه الأطفال إلى صديقهم فأسرعوا إليه و شاهدوا آثار أنياب الأفعى على يده فقام مرشدهم بقتلها، و نقلوا الطفل إلى المستشفى و هنالك علموا من الطبيب الذي عالج الطفل أن الأفعى قد أنقذت حياة الطفل بما فعلته. و عندها شرعوا يفكرون: هل الأفعى صديقةٌ أم عدوةٌ؟ [١].

من قرأ قصة «الناسك و ابن عرس» من كتاب «كليلة و دمنة» يلتقط أثر هذه القصة في قصة كيلاني. و نذكر هنا خلاصة القصة كما وردت في كتاب «كليلة و دمنة»: يحكى أن امرأة ولدت غلاماً جميلاً ففرح به أبوه. و ذات يومٍ أرادت المرأة الاستحمام فأودعت الطفل عند أبيه، فلم يلبث أن جاءه رسول الملك يستدعيه و لم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرسٍ داجنٍ عنده كان قد رباه صغيراً، فتركه الرجل عند الصبي و ذهب مع الرسول.

بعد برهةٍ خرج من بعض حجارة البيت حيةٌ سوداء فدنت من الغلام فضربها ابن عرس و وثب عليها و قتلها ثم قطعها و امتلأ فمه من دمها. ثم جاء الرجل و فتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمبشر له بما صنع من قتل الحية. فلما رآه ملوثاً بالدم ظن أنه

[١] كيلاني، لينا، صديقةٌ أم عدوةٌ، مجموعة (الحلم و المستقبل)، وزارة الثقافة، سورية، ١٩٩٧.

قتل ولده و لم يتثبت في أمره فضرب ابن عرس بعكازه فمات. و عندما دخل رأى الغلام حياً سليماً و بالقرب منه تقبع حيةٌ مقطعةٌ. عندها تبين له سوء فعله في العجلة و ندم على ذلك ندماً شديداً [١].

و الكاتبة استلهمت من القصة المذكورة الفكرة و العبرة و صاغتهما في قالبٍ قصصيٍ جديدٍ. و هنا نشير إلى النقاط الآتية:

١- اختارت الكاتبة قصةً من التراث العالمي و هي قصةٌ لا تحمل جذوراً تاريخيةً، فكتاب «كليلة و دمنة» كتابٌ يقوم على الخيال مما منح الكاتبة مقداراً أكبر من الحرية في التعامل مع النص و تقديمه بصورةٍ تتناسب مع العصر الحالي و معطياته.

٢- هذه القصة من نوع إعادة خلق القصص القديمة و لكن الوقوف على هذا الأمر صعبٌ. فقد استلهمت الكاتبة من إحدى قصص التراث القديم فكرةً و أعادت خلقها في قصةٍ جديدةٍ تختلف عن قصة التراث في زمانها و مكانها و شخصياتها و أحداثها.

٣- حافظت الكاتبة على هدف القصة و العبرة التي تقدمها.

٤- قصص «كليلة و دمنة» تحمل الكثير من القيم الأخلاقية و التربوية، و هو إضافةً إلى ذلك يحمل الكثير من المتعة و يجذب الأطفال بما فيه من الخيال و خاصةً أن شخصياته من الحيوانات التي تجتذب الأطفال و تشدهم إلى القصة و التواصل الهادف معها.

الاستنتاجات

١- نهلت قصص الأطفال في سوريا و إيران من التراث، و تنوعت مصادر هذا التراث من مصادر تراثيةٍ أدبيةٍ، و مصادر تراثيةٍ تاريخيةٍ، و مصادر تراثيةٍ دينيةٍ، و أخرى من التراث العالمي.

٢- يحقق هذا الفن القصصي الكثير من الأهداف، أهمها تعريف الأطفال بتراثهم و تاريخهم. و فتح أفقٍ جديدٍ لهم، ليتعرفوا من خلاله على التراث الأدبي و الشعبي

[١] ابن المقفع، عبد الله، *كليلة و دمنة*، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ١٩٧٤.

العالمي.

٣- في حين يحافظ فن (إعادة صياغة قصص التراث) على هوية النص الأصلي و تقتصر التغييرات فيه على تبسيط اللغة، أو إجراء بعض التغييرات البسيطة على الشخصيات و سير الأحداث دون أن تؤثر على بناء النص الأصلي، يقوم فن (إعادة خلق قصص التراث) على تغيير بناء النص الأصلي (التراثي)، فالكاتب فيه يستلهم قصةً من مصادر التراثية المكتوبة أو المحكية و يعيد صياغتها، و قد يضيف إليها شخصياتٍ جديدةً أو يحذف منها إحدى الشخصيات، كما أنه قد يغير زمان القصة و مكانها، و يعيد قولبة الأحداث بما يتناسب مع الرسالة التي يتوجه بها للأطفال من خلال القصة. و تبقى في النص الجديد آثارٌ دالةٌ على النص القديم الذي تم الأخذ عنه. كما أن هذا الفن القصصي لا يقتصر على تغيير المضمون، بل يقوم في جوهره على البناء الفني للأثر و مدى نجاح الكاتب في ذلك.

٤- استلهام المصادر التراثية التاريخية و الدينية يفرض على الكاتب قيوداً لا بد من الالتزام بها، فالكاتب هنا يتعامل مع حقائق تاريخية لا يحق له تغييرها أو التغيير في مقدماتها و أسبابها. و هذا الأمر لمسناه في دراستنا لقصة (پهلوان پهلوانان) لنادر ابراهيمي. في حين أن استلهام مصادر التراث الأدبية و الشعبية يمنح الكاتب مقداراً أكبر من الحرية في التعامل مع النص و إعادة قولبته.

٦- لا بد من تخصيص عددٍ أكبر من البحوث و الدراسات لهذا النوع من القصص لتحديد ضوابطه، و التعريف بأشكاله، و الوقوف على مواطن القوة و الضعف فيه، و الارتقاء به.

***

المصادر والمراجع

١_ ابراهيمى، نادر، *پهلوان پهلوانان، همگام با كودكان و نوجوانان*، تهران، ١٣٧١.
٢_ ـــــــــــــ، *حكايت كاسه آب خنك، همگام با كودكان و نوجوانان*، تهران، ١٣٧٠.
٣_ ابن المقفع، عبد الله، *كليلة و دمنة*، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ١٩٧٤.
٤_ ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.

٥_ حجازی بنفشه، ادبیات کودکان و نوجوانان، ویژگی‌ها و جنبه‌ها، *روشنگران و مطالعات زنان*، تهران، ١٣٨٣.
٦_ حديد، د. علي، *في أدب الأطفال*، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط٤، ١٩٨٨.
٧_ دريا كناري، رقيه وهابي و مريم حسيني، انواع بازنويسی و بازآفرينی‌های بهرام بيضايي از داستان‌های كهن، *فصنامه‌ی زبان و ادبیات فارسی*، سال ٢٥، شماره ی ٨٢، بهار و تابستان ١٣٩٦.
٨_ سليمان، حسين محمد، *التراث العربي الإسلامي*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦.
٩_ عثماني، أبوعلي حسن بن أحمد، *ترجمه‌ی رساله قشيريه*، تصحيح و استدراكات بديع الزمان فروزانفر، انتشارات علمی و فرهنگی، تهران، چ٢، ١٣٦١.
١٠_ قرانيا، محمد، *بدايات قصة الأطفال في سورية*، اتحاد الكتاب العرب، سورية، ٢٠٠٦.
١١_ ــــــــــــ، *صديقةٌ أم عدوةٌ*، مجموعة (الحلم و المستقبل)، وزارة الثقافة، سورية، ١٩٩٧.
١٢_ كيلاني، لينا، *غاق ينجو من حيلة الثعلب*، مجموعة (الغراب غاق)، وزارة الثقافة، سورية، ١٩٩٦.
١٣_ نفيسی، سعيد، *فهرست نسخه‌های خطی فارسی*، ج٢، تهران، ١٣٤٨.
١٤_ يوسفی، محمدرضا، *چهره‌های ادبیات کودکان و نوجوانان*، نشر روزگار، تهران، ١٣٨٠.